الإمام الغزالي (٤٥٠هـ - ٥٠٥هـ)

"كل شيء يبدأ صغيراً ثم يكبر،

إلاّ المصيبة، فإنها تبدو كبيرة ثم تصغر"

- نصر بن سيار -

حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد، أبو حامد الغزاليّ وُلِدَ في طُوس عام ٤٥٠هـ/١٠٨٥م، وفقد أباه صبيًّا، فرباه وصيٌّ صوفي مدة من الزمن، ثم وضعه في مدرسة خيرية يعيش ويتعلم. أتى نيسابورَ، وتعلَّم التصوف على الفرامدي، والفقه والكلام على إمام الحرمين، ثم أتى مجلس نظام المُلك، وزير السلاجقة سنة ٤٧٨هـ (١٠٨٥م)، حيث أقام ست سنوات، عيّنه بعدها الوزير أستاذًا في نظامية بغداد. درّس في بغداد أربع سنوات (٤٨٤-٤٨٨هـ) مرّ أثناءها بشكوك وألف كتابين هما: مقاصد الفلاسفة؛ حيث عرض فلسفة الفارابي وابن سينا، وتهافت الفلاسفة، حيث انتقد هذه الفلسفة. ترك بغداد، ومارس الزهد عشر سنوات، عاد بعدها إلى التعليم في نيسابور. اعتزل التعليم بعد سنة ٥٠٠ هـ/ ١١٠٦م وظل في عزلته حتى موته.

يعد أبو حامد الغزالي من كبار المفكرين المسلمين بعامة ومن كبار المفكرين بمجال علم الأخلاق بخاصة؛ إذ بين الطرق العملية لتربيه الأبناء وإصلاح الأخلاق الذميمة وتخليص الإنسان منها، فكان بذلك مفكراً ومربياً ومصلحاً اجتماعياً في آن معاً. يرى الغزالي أن الأخلاق ترجع إلى النفس لا إلى الجسد، فالخلق عنده هيئه ثابتة في النفس تدفع الإنسان للقيام بالأفعال الأخلاقية بسهولة ويسر دون الحاجة إلى التفكير الطويل.

أما في المنطق والفلسفة الخالصة فكان عَلَمًا من أعلامها، غير أنه استخدم المنطق لنصرة الدين، وحمل على الفلسفة؛ لأنها تُضِلُّ ذوي الاستعداد العقلي القاصر.

أهم كتبه: مقاصد الفلاسفة (٤٨٧هـ)، تهافت الفلاسفة (٤٨٨هـ)، المستظهري، الاقتصاد في الاعتقاد (٤٨٨هـ)، إحياء علوم الدين(٤٨٨هـ) الذي قيل عنه: من لم يقرأ الإحياء ليس من الأحياء،أيها الولد، ويسمى الولدية (٥٠١هـ)، المنقذ من الضلال (٥٠٢هـ)، المستصفى في علم أصول الفقه (٥٠٣هـ)، إلجام العوام عن علم الكلام (بين عامي ٥٠٤ و٥٠٥هـ)، وهذه أشهرها إلا أن له كتباً أخرى، مثل:

- الوسيط في المذهب.
- الوجيز في فقه الإمام الشافعي.
- فضائح الباطنية.
- القسطاس المستقيم.
- التبر المسبوك في نصائح الملوك.
- كيمياء السعادة.

وعرف الغزالي الفلسفة بأنها تحصيل أنواع الخيرات المختلفة وهي:

- خيرات خاصة بالبدن، مثل الصحة والقوة وجمال الجسم وطول العمر.
- خيرات خاصة بالنفس وهي فضائل النفس "الحكمة والعلم والشجاعة والعفة".
- خيرات خارجية وهي الوسائل وكل ما يعين الإنسان في حياته، مثل المال والمسكن ووسائل النقل والأهل والأصدقاء.
- خيرات التوفيق الإلهي مثل الرشد والهداية والسداد والتأييد.

توفي الإمام الغزالي -رحمه الله- في طوس عام ٥٠٥هـ/١١١١م، فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته ونفع بعلمه الخالد إلى ما شاء الله.